

تفسير البحر المحيط

@ 117 أبي الصلت ، وقوله : ما كنت لأومن بنبي لم يكن من ثقيف ، ومنع بعض المتكلمين جواز كفر العناد ، لأن المعرفة تقتضي الإيمان والجحد يقتضي الكفر ، فامتنع اجتماعهما ، وتأولوا طواهر القرآن فقالوا : في قوله : { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ } أنها في أحكام التوراة التي بدلوها كآية الرجم ونحوها . قال ابن عطية : وكفر العناد من العارف بالـ وبالنبوة بعيد ؛ انتهى . والتأويلات في نفي التكذيب إنما هو عن اعتقاداتهم إما بالنسبة إلى أقوالهم فأقوالهم مكذبة إما له وإما لما جاء به . . . { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا وَعَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرٌ مِّنَّا } قال الضحاك وابن جريج : عزى الـ تعالى نبيه بهذه الآية فعلى قولهما يكون هو صلى الـ عليه وسلم) قد كذب وهو مناف لقوله : فإنهم لا يكذبونك وزوال المنافاة بما تقدم من التأويلات كقول الزمخشري وغيره أن قوله : { لَا يُكذِّبُ بُونَكَ } ليس هو من نفي تكذيبه حقيقة . قال : وإنما هو من باب قولك لغلامك : ما أهانوك ولكن أهانوني وجاء قوله : ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية له صلى الـ عليه وسلم) ولما سلاه تعالى بأنهم بتكذيبك إنما كذبوا الـ تعالى سلاه ثانياً بأن عادة أتباع الرسل قبلك تكذيب رسلهم ، وأن الرسل صبروا فتأسَّ بهم في الصبر ، وما في قوله : { مَا كُذِّبُوا } مصدرية أي فصبروا على تكذيبهم والمعنى فتأسَّ بهم في الصبر على التكذيب والأذى حتى يأتيك النصر والظفر كما أتاهم . قال ابن عباس : { فَصَبَرُوا وَعَلَىٰ مَا كُذِّبُوا } رجاء ثوابي وأوذوا حتى نشروا بالمناشير وحرقوا بالنار ، حتى أتاهم نصرنا بتعذيب من يكذبهم ؛ انتهى . ويحتمل { وَأُوذُوا } أن يكون معطوفاً على قوله : { كَذَّبَتْ } ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله { فَصَبَرُوا } ويبعد أن يكون معطوفاً على { كَذَّبُوا } ويكون التقدير فصبروا على تكذيبهم وإيذائهم ، وروي عن ابن عامر أنه قرأوا أذوا بغير واو بعد الهمزة جعله ثلاثياً لا رباعياً من أذيت فلاناً لا من أذيت ، وفي قوله : { نَصْرٌ مِّنَّا } التفات إذ قبله بآيات الـ وبلاغة هذا الالتفات أنه أضاف النصر إلى الضمير المشعر بالعظمة المتنزل فيه الواحد منزلة الجمع والنصر مصدر أضيف إلى الفاعل والمفعول محذوف أي نصرنا إياهم على مكذبيهم ومؤذيهم ، والظاهر أن الغاية هنا الصبر والإيذاء لظاهر عطف { وَأُوذُوا } على { فَصَبَرُوا } وإن كان معطوفاً على { كَذَّبُوا } فتكون الغاية للصبر أو معطوفاً على { كَذَّبَتْ } فغاية له وللتكذيب أو للإيذاء فقط . . .

{ وَلَا مَبْدُولَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِّ } قال ابن عباس : أي لمواعيد □ ولم يذكر
الزمخشري غيره قال : لمواعيده من قوله { وَلَا لَقَدْ سَدَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا
الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَنُحْضِرُهُمُ الْوَعْدَ وَإِنَّا لَوَاقِعُونَ } . وقال الزجاج لما أخبر به وما
أمر به والإخبار والأوامر من كلمات □ ، واقتصر ابن عطية على بعض ما قال الزجاج فقال :
ولا راد لأوماره . وقيل : المعنى لحكوماته وأقضيته ، كقوله { وَلَا كَلِمَةٌ كَلِمَةٌ
الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } أي وجب ما قضاه عليهم . وقيل : المعنى لا يقدر أحد
على تبديل كلمات □ وإن زخرف واجتهد ، لأنه تعالى صانه برصين اللفظ وقويم المعنى أن
يخلط بكلام أهل الزيغ . وقيل : اللفظ خبر والمعنى على النهي أي لا يبدل أحد كلمات □ ،
فهو كقوله { لَا رَيْبَ فِيهِ } أي لا يرتابون فيه على أحد الأقوال . .
{ وَلَا لَقَدْ جَاءكَ مِنَ نَّبِيِّائِ الْمُرْسَلِينَ } { } هذا فيه تأكيد تثبيت لما تقدم
الإخبار به من تكذيب أتباع الرسل للرسل وإيذائهم وصبرهم إلى أن جاء النصر لهم